حول كتب الوفيات :

عـــود على بدء (*)

للاســـتاذ أحمد الشرباصى

كنت قد نبهت أخى الأديب الأستاذ وديع فلسطين على صفحات مجلة « الرسالة » الغراء إلى أن كتاب « وفيات الأعيان » ليس كما يظن ويقول — كتاباً مقصوراً على ذكر وفيات المشهورين من الرجال ، بل هو كتاب تاريخ جامع ، فيه أخبار وأشعار ، وحوادث وقصص ؛ ولما نشرت هذه الكلمة لقيني أخى الأستاذ على محمد حسن المدرس بالأزهر الشريف فحادثني عن هذه الكلمة ، ثم ذكر لى أنه سمع بأن هناك كتاباً اسمه « وفيات الأعيان » غير كتاب ابن خلكان ، وقد اقتصر صاحبه على ذكر وفيات من عرف من الرجال ، وأن هذا الكتاب موجود بدار الكتب المصرية بالقاهرة ... !

شغلنى هذا الموضوع ، فعجلت بالذهاب إلى الدار ، وأخذت أراجع فهارس كتبها المخطوطة والمطبوعة لأستثبتها عما فيها من كتب تسمى بالإسم المذكور أو تقاربه ؛ فوجدت فيها كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان ، وهو أشهر من أن يعرَّف ؛ ووجدت فيها كتاب « فوات الوفيات » لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ؛ وهو كتاب متوسط ، يقع فى مجلدين ، مطبوع بالمطبعة الأميرية ببولاق ، فى عهد الخديوى إسماعيل باشا سنة ١٢٨٣ هـ ؛ وأنتهز هذه الفرصة لأقول إن هذه الطبعة مملوءة بالتحريفات والتصحيفات والأخطاء المطبعية مما تقذى منه العين ، ويضج له الطالع ، على الرغم من أن الطابع أحصى فى أول كل مجلد منهما جانباً كبيراً جداً من الأخطاء والغلطات المهمات ، وترك الباقى لفطنة القارىء الأديب اللبيب كما يقول ... ! (١)

وكتاب الوفيات للكتبى يعتبر كتذييل أو تتميم لوفيات ابن خلكان ؛ وقد أوجز المؤلف عمله فى كتابه ، وبجهوده فى مؤلفه فى المقدمة الطويلة التى قال فيها بعد البسملة والحمدلة والصلاة على الرسول والآل :

« وبعد ، فإن علم التاريخ مرآة الزمان لمن تدبر ، ومشكاة أنوار يطلع بها على تجارب الأمم من أمعن النظر وتفكر ، وكنت ممن أكثر لكتبه المطالعة ، واستجلى من فوائده المراجعة ، فلما وقفت على كتاب (وفيات الأعيان) لقاضى القضاة ابن خلكان قدس الله روحه — وجدته من أحسنها وضعاً ، لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة ، والمحاسن الكثيرة ، غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء ، ورأيته قد أخل بتراجم فضلاء زمانه ، وجماعة ممن تقدم على أوانه ، ولم أعلم أذلك ذهول عنهم ، أم لم يقع له ترجمة أحد منهم ، فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر من لم يذكره من الأئمة الخلفاء والسادة الفضلاء ، وأذيل من وفاته إلى الآن ، فاستخرت الله تعالى ، فانشرح لذلك صدرى وتوكلت عليه وفوضت إليه أمرى ، وسميته بـ « فوات الوفيات » ؛ والله تعالى المسئول أن يوفق فى القول والعمل ، وأن يتجاوز عن هفوات الخطأ والزلل » .

ثم أخذت أقلب بين يدى صفحات « الفوات » فإذا أنا أقع فى نهايته على نص مهم لمصححه الشيخ نصر أبو الوفا الهوريني ، إذ أن هذا النص قد تحدث عن كثير من الكتب التى ألفت فى الوفيات كتذييل لكتب سابقة أو تعليق على مؤلفات متقدمة ، وقد كفانى هذا النص مئونة البحث والتنقيب عما تحدث عنه من كتب ؛ قال :

« واعلم أن الوفيات قد اشتمل على ٨٤٦ ترجمة ، وذيل عليه عبد الباقى المخزومى المكى المتوفى سنة ٨٤٣ ؛ كما تقدم فى هذا الكتاب ؛ بنحو ثلاثين ترجمة ؛ وكذا ذيل حسن بن أيبك المتوفى بالتاريخ المذكور ؛ وذيل عليه عبد الباقى الشيخ زين الدين عبد الرحيم العراقى المتوفى سنة ٨٠٦ ؛ وأما هذا الفوات فإنه اشتمل على ٥٧٢ ترجمة ، منها نحو ست تراجم أو سبعة مذكورة فى الوفيات فليست من الفوات كما يعرفه من استقصى فهارس الكتابين ؟ وأما كتاب الوافى بالوفيات لصلاح الدين الصفدى الذى انتهى فيه إلى آخره سنة ٧٦٠ قبل وفاته بأربع سنين فإنى كنت أتوهم أنه ذيل آخر للوفيات غير موجود بمصر ، حتى كتبت ذلك ببعض الهوامش بناء على هذا التوهم ، إلى أن رأيت

(*) انظر العدد ٦٨١ .

(١) الأمين طبعة حديثة مصححة لذلك الكتاب الجليل ! .

فى كشف الظنون أنه كتاب حافل جمع فيه تراجم الأعيان ونجباء الزمان ، ممن وقع عليه اختياره ، فلم يغادر أحداً من أعيان الصحابة والتابعين والملوك والأمراء والقضاة والعمال والقراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والأولياء والصلحاء والنحاة والأدباء والشعراء والأطباء والحكماء وأصحاب الملل والنحل والبدع والآراء وأعيان كل فن ممن اشتهر أو أتقن إلا ذكره ؛ إلى أن قال فى (الكشف) : فازداد النفع به للمحدث والأديب » ! .

وظاهر من عبارة الشيخ نصر الهوريني أن هذه الكتب التى ذكرها ليست مقصورة على ذكر « وفيات » فقط ؛ أما فيما يتعلق بكتاب الصفدى فواضح بعد ما عرفناه من حديث كشف الظنون عنه ؛ وأما فيما يتعلق بالكتب الباقية فلأنها تذييل لوفيات الأعيان ، فتكون على طريقته : وقد عرفنا من قبل طريقة ابن خلكان فى الترجمة والتاريخ .

فلنواصل البحث إذن فى فهارس الدار ، علنا نجد ذلك الكتاب الذى سمع به ذلك الزميل ... ! هأنذا أجد أخيراً كتاباً اسمه « الوفيات » لمن يسمى تقى الدين محمد بن هجرس بن رافع المولود سنة ٧٠٤ هـ ؛ فلعله الكتاب المنشود ، ولعلى أفوز بعد طول العناء بالمقصود ...

طلبت الكتاب للاطلاع عليه فى قاعة المطالعة بالدار (وهو مخطوط) فلم أوفق لتحقيق ذلك ، لأن المشرفين على دار الكتب فى هذا الميدان لا يحسنون معاملة المطالعين ، فتارة يقال لى : وضح الجزء المطلوب ! . وتارة يقال لى : إن الكتاب لدى حضرات موظفى الدار ! . وتارة يقال لى إن الكتاب فى الخارج ... ! وأخيراً قيل لى بعد أن استعنت بموظف فى الدار : إنه موجود فى المنارة ... !

فلم أجد أمامى إلا أن أعود إلى الفهرس المفصل المطبوع ، علّى أجد فيه تلخيصاً لطريقة الكتاب ؛ وفعلا وجدت هذا التلخيص ، وقد جاء فيه ، تحت عنوان : « الوفيات » برقم (١٣٦م) ما يلى :

« تأليف تقى الدين محمد بن هجرس بن رافع ، المولود فى شهر ذى القعدة سنة ٧٠٤ هـ ، المتوفى فى اليوم الثانى عشر من شهر جمادى الأولى ، وقيل فى اليوم الرابع عشر من جمادى الآخرة من السنة المتقدمة (؟) [1] بدمشق ؛ وهو ذيل على تاريخ الحافظ أبى محمد القاسم بن محمد بن يوسف الملقب علم الدين البرزالى الشافعى الدمشقى المولود فى شهر جمادى الأولى سنة ٦٦٥ هـ فى العشر الأخيرة من ذى القعدة ، أو فى اليوم الرابع من شهر ذى الحجة سنة ٧٣٩ هـ حينما كان محرماً بالحج ... انتهى البرزالى فى تاريخه إلى آخر سنة ٧٣٦ هـ وابتدأ المؤلف ذيله من سنة ٧٣٧ وانتهى فيه إلى سنة ٧٧٣هـ ، وفى آخره ترجمة الفيروزابادى وترجمة تمربغا ، نقلا عن المورد الصافى ، لابن تغرى بردى ؛ نسخة من مجلد ، مخطوطة ، بقلم معتاد ، منقولة من خط الحافظ الشهير ابن ناصر الدين ، وقوبلت عليه » ... !

إذن ليس هذا الكتاب أيضاً مقصوراً على ذكر الوفيات ، بل فيه تراجم وتواريخ ؛ وقد وقفت فهارس الدار التى بين يدى عند هذا الحد ، فأين إذن ذلك الكتاب الذى سمع به ذلك الصديق ، والذى يؤكد وجوده ويقول إنه لم يذكر فيه إلا وفيات الأعيان من الرجال ؟ ... « وفوق كل ذى علم عليم » ؛ ولذلك رأيت أن أكتب هذه الكلمة على صفحات الرسالة الغراء علّه يوجد بين قرائها من يعرف شيئا عن هذا الكتاب المنشود ، فينبئنا بخبره ، ويقص علينا طرفاً من أمره ، والحقيقة بنت البحث .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

(١) هكذا فى الأصل ، ولم تسبق سنة الوفاة ، وإنما السابقة سنة الميلاد ، ولعله سهو .

جامعة فؤاد الأول

كلية الآداب

ترغب كلية الآداب فى شغل كرسى الفنون الإسلامية الخالى بها . وتقدم الطلبات باسم حضرة صاحب العزة عميد كلية الآداب فى ميعاد لا يتجاوز ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٦ . مع بيان المؤهلات الدراسية للمرشح والمؤلفات والأبحاث العلمية التى نشرها ويكون التعيين بعقد لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات وبماهية لا تتجاوز ٩٦٠ جنيه فى السنة .

٥٨٤٩